التفاسير السرية للقرآن الكريم

دراسة فى نظرية التفسير عند الإسماعيلية

د عماد حسن مرزوق

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد كلية الآداب –جامعة المنوفية

ملخص البحث

اعتمادا على مبدأ (التقية) تميزت (الإسماعيلية) منذ نشأتها وحتى اليوم بانتهاج سبيل الدعوة السرية، فى محاولة منها لتجنب عواقب المواجهة المباشرة مع الخصوم السياسيين والدينيين، وعلى هذا النحو انقسمت كتب الإسماعيلية إلى ما يسمى (بكتب الظاهر) وهى الكتب التى توافق توجهات (العامة) من المسلمين، و(كتب الباطن) وهى (الكتب السرية) التى توجه للطائفة (الخاصة) المقصودة بالدعوة، وتتضمن الفكر الحقيقى للإسماعيلية.

تنتمى إلى (الكتب السرية) بعض تفاسير القرآن لدعاة الإسماعيلية، كتفسير (مزاج التسنيم) للداعى ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله (ت ق ٥هـ)، و(كتاب الكشف) للداعى جعفر بن منصور اليمن (ت٣٤٧هـ). وقد اتبع المفسرون الإسماعيليون فى سبيل الحفاظ على سرية تفاسيرهم طرقا متعددة، من أهمها (الكتابة السرية) التى تستخدم رموزا خاصة تمكن المفسر من كتابة بعض الألفاظ فى التفسير بطريقة سرية لا تتيح لأحد معرفة المراد منها إلا من كان ملما بقواعد تلك الكتابة السرية ورموزها.

يحاول البحث من خلال التفاسير الإسماعيلية أن يعرف بالاتجاه السرى فى تفسير القرآن، وأن يقدم تحليلا لدوافعه، وآلياته، وأن يستعرض أهم عناصر مدونته، بالإضافة إلى الوقوف على نظرية التفسير التى اتخذت من ثنائية (المثل والممثول) قاعدة أساسية ينطلق منها (التأويل الباطنى) للقرآن الكريم، والذى يمثل فى النهاية صورة للعقائد الإسماعيلية.

الكلمات المفتاحية

التفاسير السرية – الكتب السرية – نظرية التفسير – الإسماعيلية – المثل والممثول – التأويل الباطنى – كتاب الكشف – مزاج التسنيم

The Secret Interpretations of the Quran A Study in the Theory of the Quranic Interpretations According to Isma'ilism

Abstract

Depending on the principle of closeted worship corner (Al.Taqiyya), Isma'ilism ـ since it was established ـ followed the way of the secret missionary (Dawa'(, trying to avoid the clash with its religious and political opponents. Consequently, the Ismaili books are divided into what is called (exoteric (Zahir) books). which come agreeable with the public attitudes of Muslims. and the esoteric (Batin) books which include the true thought for Isma'ilism. In these books they address the special group meant by their missionary goals (Dawa).

Some of the Quranic interpretations (of the secret books) belong to the Ismaili missionaries such as the interpretation of Mezaj Al. Tasneem by Dia El. Deen Esmail Ibn Hibatallah's (died in the 5th century of Hijra), Ketabe Al. Kashfe by Jafar Ibn Mansoor's (died in the 5th century of Hijra). For keeping the secrecy of their interpretations, Ismailis followed many ways, the most important of which is the secret writing, using special symbols. Those symbols have helped the interpreter to write some words of interpretation in a secret way. No one can know their meanings except he who is acquainted with the rules of that secret writing and its symbols.

Through the Ismaili interpretations, the research tries to define the secret attitudes toward the interpretation of the Quran, to introduce analysis to serve its motives and mechanisms and to show the most important elements of its code. It also contemplates the interpretation theory which takes as its basis “the like and the likened” duality. Form this theory it launches the exoteric interpretation of the holy Quran which ultimately represents a picture of the Ismaili faith.

Key Words

The secret interpretations – the secret books – the theory of interpretation– Isma'ilism – Ketabe Al .Kashfe – Mezaj Al .Tasneem.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وبعد،

فلقد كانت السرية – ولا تزال – إحدى خصائص الإسماعيلية التى لازمتها منذ نشأتها وحتى يومنا هذا، ولقد كان من آثار تلك الخصيصة ما يسمى فى تاريخ الفكر الإسماعيلى بالكتب السرية، وهى الكتب التى كانت تكتب بهدف نشر الدعوة سرا، ولا يسمح بالاطلاع عليها لغير الموثوق فيهم، خلافا لكتب الظاهر التى كانت تُظهر – انطلاقا من مبدأ التقية – ما لا يصطدم مع عقائد جمهور المخالفين لهم.

ولقد كان تفسير القرآن الكريم أحد أهم مرتكزات الإسماعيلية فى بث دعوتهم وتثبيتها، وكان من الملائم للدعوة السرية أن يكون تفسيرها للقرآن الكريم سريا كذلك، من هنا جاز لنا أن نطلق على الكتب السرية الخاصة بتفسير القرآن الكريم عند الإسماعيلية اسم (التفاسير السرية).

ويستكشف البحث نظرية التفسير عند الإسماعيلية من خلال ثلاثة تفاسير سرية لم تكن موضع دراسة من قبل، على الرغم من وفرة الدراسات التى تناولت الإسماعيلية من جوانب شتى . وهى :

أ – كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن

ب– مزاج التسنيم لضياء الدين إسماعيل بن هبة الله بن إبراهيم الإسماعيلى السليمانى

ج – مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية لمؤلف إسماعيلى مجهول

ويتناول البحث دراسة التفاسير السرية للإسماعيلية ونظريتهم فى التفسير من خلال أربعة مباحث :

المبحث الأول : مدونة التفسير السرى الإسماعيلى

المبحث الثانى : آليات السرية فى التفاسير الإسماعيلية

المبحث الثالث : دوافع سرية التفسير عند الإسماعيلية

المبحث الرابع : نظرية التفسير عند الإسماعيلية وإشكالاتها

من خلال تلك المباحث يتناول البحث جانبا جديدا فى الدراسات القرآنية من جهة والدراسات المتعلقة بالإسماعيلية من جهة أخرى.

المبحث الأول : مدونة التفسير السرى الإسماعيلى

التفاسير السرية ضرب خاص من تفسير القرآن تميزت به الإسماعيلية عن غيرها من الفرق الإسلامية، وتنتمى تلك التفاسير لما يسمى فى التراث الإسماعيلى بالكتب السرية، وهى تلك الكتب التى لم يكن يسمح لغير الموثوق فيهم من قِبَل الإسماعيلية بالاطلاع عليها، وذلك حرصا منهم على سرية الدعوة. وتتميز تلك التفاسير باعتمادها على آليات خاصة تكفل لها تلك السرية المطلوبة.

وعلى الرغم من سرية هذه التفاسير وندرتها فقد أمكن الوقوف على بعضها. ونعرض لثلاثة منها على النحو التالى :

أولا : كتاب الكشف[١]

كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن (ت٣٤٧هـ)، ومنصور اليمن لقب عرف به أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفى وقد توفى منصور اليمن أو المنصور اليمانى سنة ٣٠٢هـ بعد أن مهد للدعوة الإسماعيلية فى اليمن، كما يرجع الفضل إلى منصور اليمن فى تمهيد الدعوة للمهدى فى المغرب وذلك بإرساله أبى عبد الله الحسين بن أحمد الصنعانى المعروف بأبى عبد الله الشيعى إلى المغرب، لذلك كله لم يكن بعيدا أن يصبح جعفر بن منصور اليمن أحد الدعاة الخواص المقربين من الإمام أبى القاسم القائم بأمر الله محمد بن المهدى (ت ٣٣٤هـ)، كما إنه "بلغ الذروة فى عهد المعز لدين الله حتى جعله (باب أبوابه) فى مصر، وهى أعلى رتبة فى الدعوة لا يبلغها إلا الآحاد والأفراد"[٢] .

لجعفر بن منصور اليمن عدد من المؤلفات نذكر منها : كتاب الفرائض وحدود الدين، وكتاب الشواهد والبيان فى إثبات مقام أمير المؤمنين، وكتاب سرائر وأسرار النطقاء، وتأويل قصص الأنبياء، وكتاب تأويل الزكاة، وكتاب تأويل حروف المعجم، وكتاب الفترات والقرانات، ورسالة تأويل سورة النساء، ورسالة المراتب والمحيط، ورسالة فى معنى الاسم الأعظم، وكتاب الرضاع فى الباطن.

ويعد كتاب الكشف من الكتب التى خصصها جعفر بن منصور اليمن لإثبات الإمامة وما يتعلق بها من خلال تفسير القرآن الكريم.

يضم كتاب الكشف ست رسائل، حدد شتروطمان R. STROTHMANN موضوعاتها على النحو التالى:

١- للكتاب تحقيقان :

الأول : كتاب الكشف : جعفر بن منصور اليمن، تحقيق ر.شتروطمان، دار الفكر العربى، د.ت

الثانى : كتاب الكشف : جعفر بن منصور اليمن، تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢- كتاب الكشف (غالب)، ص١١.

الأولى : فى إثبات إمامة على والطعن على مخالفيه، ثم فى ظهور المهدى.

الثانية : فى ذات الله وعرشه وكرسيه مع رد موجز على المشبهين ونبذة فى المعانى الرمزية لحروف المعجم.

الثالثة : تتشابه موضوعاتها مع موضوع الرسالة الأولى فى تناول إمامة على والطعن على مخالفيه، ثم الكلام فى مقامات أوليائه والتنويه بذكر العيون الثلاثة المقداد، وأبى ذر، وسلمان الفارسى.

الرابعة : فى الحروف والأصوات.

الخامسة : فى تأويل الحج والكعبة ثم البحث فى معنى لفظ الكتاب، والآية، والصديق، والنبى، وفى مراتب المؤمنين ودرجاتهم، والكلام فى البراءة من الكافرين.

السادسة : فى إثبات إمامة على[٣].

وإذا كانت هذه الموضوعات هى الموضوعات الغالبة على رسائل كتاب الكشف فإن تلك الموضوعات جاءت من خلال تفسير جعفر بن منصور اليمن لآيات قام باختيارها، دون أن يكون ملتزما فى هذا الاختيار بترتيب الآيات فى القرآن الكريم.

ثانيا : كتاب مزاج التسنيم[٤]

كتاب مزاج التسنيم تفسير لآيات القرآن الكريم على الترتيب، يبدأ فى النسخة المطبوعة من تفسير قوله تعالى (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) [التوبة : ٩٤]، وينتهى إلى تفسير قوله تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) [العنكبوت:٤٤]، ويضم هذا الجزء المطبوع القسمين الثالث والرابع من التفسير.

وصاحب التفسير الداعى ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله بن إبراهيم الإسماعيلى السليمانى. لم تذكر المراجع شيئا عن ترجمته، لكن مقدمة ما بين أيدينا من التفسير تذكر أن المفسر "واسطة عقد الدور القائمى النظيم"[٥] .

وقد ذكر المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع أن المؤلف قد توفى فى القرن الخامس الهجرى[٦]

---

[٣]– كتاب الكشف : تحقيق شتروطمان، ص (ب)،(ج)

[٤]- مزاج التسنيم: ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله الإسماعيلى السليمانى، تحقيق ر.شتروطمان، المجمع العلمى، غونتيغن، ألمانيا، ط١، ١٩٤٤م – ١٩٤٨م. ونظرا لخلو الطبعة من ترقيم الصفحات فسوف أعتمد فى الإحالات على الأرقام التى تشير إلى صفحات المخطوط والتى وضعت بهامش النص المحقق.

[٥]- مزاج التسنيم، ص ٢

غير أن شتروطمان قد استظهر أن التفسير قد دون سنة ١١٦٩هـ بناء على الأبيات الموضوعة فى صدر التفسير والمؤرخة له بحساب الجمل، حيث يقول شرف المعالى جعفر بن هبة الله :

فالاسم منه قد حكى تأريخه عند الحساب

لفظا ومعنى بالمزا ج تحققا آى الكتاب[٧]

وقد جاء فى آخر التفسير ما يدل صراحة على أن الناسخ عبد الله ابن سيدنا على بن هبة الله قد فرغ من نسخ الكتاب سنة ١١٧٣ هـ "وذلك من مسودتها التى هى بخط مؤلفها سيدنا الداعى الجليل، عديم النظير والمثيل، ضياء الدين ودرة تاجه والإكليل، إسماعيل ابن سيدنا هبة الله أيده الله بالنصر والظفر، وبلغه فى رفع بناء الدعوة كنه الأمل والوطر، وذلك بحصنه السعيد وقصره الشامخ المشيد من محروس نجران ببلاد يام، حرسها الله من الأشرار اللئام"[٨] . وعلى ذلك فالمؤلف من متأخرى الإسماعيلية اليامين فى نجران.

ولهذا التفسير أهمية كبيرة فى الكشف عن طبيعة التفاسير السرية عند الإسماعيلية، ونظريتهم فى التفسير بصورة عامة، نظرا لغناه كما وكيفا.

ثالثا : مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية[٩]

لا يعد هذا الكتاب تفسيرا مستقلا ومع ذلك ففيما أورده مؤلفه فى ثنايا بحثه فى مسائل الإمامة من التفسير ما يمثل جانبا هاما من التفاسير السرية عند الإسماعيلية.

ومؤلف هذا الكتاب مجهول، غير أن ما جاء فيه يدل بصورة قاطعة على إسماعيلية مؤلفه.

سنكتفى بالكتب الثلاثة التى سبق عرضها لنتخذ منها مدخلا لبحث ما تتميز به من السرية كما سنرى فى المبحث التالى.

---

[٦]– المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع : د. محمد عيسى صالحية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ٢٠١/٣

[٧]- مزاج التسنيم، ص ٢

[٨]– مزاج التسنيم، ص ٢١٠

[٩]– مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية (ضمن كتاب أربعة كتب إسماعيلية) : المؤلف مجهول، تحقيق ر. شتروطان، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٦م

المبحث الثانى : آليات السرية فى التفاسير الإسماعيلية

بعد أن استعرضنا جانبا من مدونة التفسير الإسماعيلى مما وصفناه بالتفسير السرى، نقدم فى هذا المبحث مبررات إطلاق هذا الوصف على تلك التفاسير من خلال استعراض آليات السرية التى استعانت بها تلك التفاسير، والتى تمثلت فى ثلاث وسائل :

الوسيلة الأولى : الكتمان

المقصود بالكتمان عدم إذاعة الكتب بين عامة الناس، واختصاص الموثوق فيهم من قبل الإسماعيلية بالاطلاع عليها وحدهم دون غيرهم.

وقد أدى هذا المسلك إلى وجود نوعين من الكتب – والتفاسير من جملتها – عند الإسماعيلية ، أما النوع الأول فهو ما يعرف بكتب الظاهر، وهى الكتب التى لا يكتب فيها ما يصادم عقائد عامة المسلمين عملا بمبدأ التقية، ويمكن أن نمثل لهذا النوع من الكتب بما وضعه القاضى النعمان (ت ٣٦٣هـ) من مؤلفات لا تخرج فى معظمها عن الأحكام الفقهية المعروفة فى المذاهب السنية، كما نرى على سبيل المثال فى كتابه (دعائم الإسلام).

أما النوع الثانى من الكتب هو ما يعرف بكتب الباطن، وهى الكتب التى يُبِين فيها الإسماعيلية عن حقيقة مذهبهم دون تقية، وذلك رغبة فى شرح مذهبهم لخواصهم. وتمثل النماذج التى استعرضناها فى المبحث الأول هذا الجانب من التأليف عند الإسماعيلية لذلك يمكننا أن نطلق عليها التفاسير السرية.

وقد تتابع مفسرو الإسماعيلية على التأكيد على ضرورة كتمان تفاسيرهم، ومنعها عن غير أهل الدعوة، وعدم إذاعتها بين العامة.

يقول جعفر بن منصور اليمن فى كتاب الكشف " أول ما يحتاج إليه المؤمن من أمر دينه، ومعرف الحق وأهله، الأمانة لله ولأوليائه لقول الله عز وجل (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) وإنى يا أخى آخذ عليك عهد الله وميثاقه، وأشد ما أخذ الله على أنبيائه ورسله دائما من عهد مؤكد، وميثاق مشدد، وأحرم عليك ما حرم الله على أنبيائه ورسله وأبوابه وحججه، وكذلك أبوك الذى سقاك، وأخوك الذى رضع معك من شرب واحد مثل الميتة والدم ولحم الخنزير أن تذيعه، ولا يقرأه غيرك، ولا تلفظ به لأحد ولد آدم، فطرة الله التى فطر الناس عليها، ولا تكتبه لأحد إلا لمستحق مؤمن محق، فإن تعديت وفعلت غير الذى آمرك به وأذعته فقد برئ الله منك ورسوله ووصيه، وسلط الله عليك سيف الحق ينفذ فيك حكمه ولو كره المشركون"[١٠].

[١٠]– كتاب الكشف (شتروطمان)، ص ٢– ٣

ولم يكن حرص الإسماعيلية المعاصرين على كتمان كتاب الكشف بأقل من حرص مؤلفه على كتمانه، فقد ذكر مصطفى غالب فى مقدمة تحقيقه لكتاب الكشف ما لاقاه شتروطمان عند نشره للكتاب من داعى البهرة حيث يقول " وفى عام ١٩٥٨م تلقيت رسالة من الصديق المستشرق الألمانى المرحوم الدكتور شتروطمن يعلمنى فيها بأنه كان قد حقق منذ عام ١٩٣٩م على حساب جمعية الأبحاث الإسلامية فى بمباى الهند كتاب الكشف المنسوب لجعفر بن منصور عن النسخة الخطية الموجود فى مكتبة برلين العامة تحت رقم ٢٧٦٨، ولكن الداعى المطلق لطائفة البهرة المستعلية طاهر سيف الدين احتج لدى السلطات المسؤولة فى الهند وطلب مصادرة النسخ قبل خروجها من المطبعة لذلك فهو يقترح على إعادة تحقيق الكتاب ونشره على ضوء المخطوطة التى أملكها"[١١].

أما كتاب مسائل مجموعة من الحقائق العالية فيبدأ بالتأكيد على ضرورة كتمان ما فيه منذ صفحة الغلاف حيث دون عليها ما نصه : " أربعة كتب إسماعيلية لا يجوز الاطلاع عليها إلا بإذن من له العقد والحل".

وقد جاء فى كتاب (مسائل مجموعة) الإطناب لما أوجز فى العبارة الافتتاحية على الغلاف، حيث يقول صاحب المسائل " أما بعد، أيها الأخ أعلى الله فى رتب الصالحين درجتك، ونور بنور الصافين المسبحين صورتك فقد وقفت على مسائلك التى دلت على تألق جذوة ذكائك، وعلوك فى منازل العلم وارتقائك، وسألت الإجابة عنها، وهى أيها الأخ تقتضى جوابا من زبد الحقائق المصونة، وسرائر الحكم المكنونة، ولب الفوائد المخزونة، وأنا أتحقق أنك أهل لأن تطلع على ذلك، وحقيق بأن تخص بفضل ما هنالك، إلا أنه مما لا يودع بطون الأوراق، ولا يجب أن يرمق من العيون الشحمية بالأحداق، صيانة له عن إبدائه وبذله، خوفا عليه أن يقع إلى غير أهله، بل يجب أن يكون قرطاسه الأذن الواعية، وقلمه اللسان المترجمة عن جواهرها العالية، لكنى لما أوثره من الجلاء لبصيرتك، والزيادة فى إنارة صورتك، كتبت لك ذلك فى هذه الأوراق، وأنا آخذ عليك عهد الله تعالى، وعظيم الميثاق الذى أخذه على ملائكته المقربين، وأنبيائه المنتجبين، وأئمة دينه الهادين، وحدودهم الميامين، وإلا فأنت برىء منهم أجمعين، لا وقف على ذلك إلا أنت وأولادك لا غيرهم، ثم يرد إلى هذه الكراسة بعد أن تحفظ ما فيها، وإن أردت أن تغيب ذلك تركتها عندك مدة ما يحفظ ما فيها، ثم أعدتها إلى، والله على ما نقول وكيل"[١٢].

وبالرغم من فقدان الأجزاء الأولى لتفسير مزاج التسنيم، حيث كان من المتوقع أن نجد فى مفتتحها مثلما وجدنا فى مفتتح كتابى الكشف ، ومسائل مجموعة من ضرورة كتمان ما فى هذه التفاسير، فإننا لا نعدم بعض العبارات الموجزة التى تشير إلى هذا الكتمان الذى تتميز به التفاسير السرية، فنجد على سبيل المثال ضياء الدين يفتتح تفسير سورة الكهف بقوله "حقائق سورة الكهف وإيضاح بعض سرها الذى يصان أن يباح لغير أهله أو يكشف"[١٣].

---

[١١]– كتاب الكشف (غالب) ص ١٨

[١٢]– مسائل مجموعة ضمن (أربعة كتب إسماعيلية)، ص ١١

[١٣]– مزاج التسنيم، ص٩٦

الوسيلة الثانية : الكتابة السرية

للكتابة السرية تاريخ طويل فى الثقافة العربية، وقد استعرض الدكتور عبد الهادى التازى فى كتابه (الرموز السرية فى المراسلات المغربية عبر التاريخ) جانبا من هذا التاريخ، فمن ذلك ما نجده عند أبى بكر محمد بن يحيى الصولى (ت٣٣٥هـ) فى مؤلفه أدب الكاتب، حيث ذكر "هذا النوع من الكتابة المعماة بتعبير فارسى هو كلمة (الترجمة) أى الكتابة بالإشارة، وليست الترجمة تعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى ولكنها تعنى الكلام المعمى"[١٤]. وممن ذكر الكتابة السرية – أو المعماة كما يذكر الدكتور التازى – حمزة ابن الحسن الأصفهانى (ت ٣٦٠هـ) فى كتابه (التنبيه على حدوث التصحيف)، ومنهم ابن وهب الكاتب (ت ق ٤هـ) صاحب (البرهان فى وجوه البيان) الذى يسمى الكتابة السرية بالكتابة الباطنة، وقد ذكر القلقشندى (ت ٨٢١هـ) فى (صبح الأعشى) صورا من الكتابة المشفرة لاسيما ما ذكره عن أبى الحسن تاج الدين على بن محمد بن عبد العزيز المعروف بابن الدريهم سفير الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الذى ذكر فى مؤلفاته طرق الكتابة المشفرة التى يمكن استخدامها فى المراسلات للحفاظ على أسرار الدولة.

ويمكن الوقوف على اهتمام التراث العربى بالكتابة السرية من خلال النصوص المحققة لابن الدريهم والكندى وابن عدلان وغيرهم، والتى جمعت فى كتاب (علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب)[١٥].

ولقد كانت الكتابة السرية عند الإسماعيلية إحدى الطرق التى استعانوا بها ليحافظوا على سريه تفاسيرهم، بل كتبهم عامة، ولقد كانت تلك الكتابة السرية بأمر أئمة الإسماعيلية أنفسهم وتعليمهم، وفى نص هام ينقل لنا القاضى النعمان (ت ٣٦٣هـ) ما يكشف عن أهمية تلك الكتابة عند أئمة الإسماعيلية وحرصهم على تعليمها لخواصهم، يقول القاضى النعمان متحدثا عن (فضل المعز لدين الله) " وسمعته (يقصد المعز) فى هذا المجلس يقول : دفع إلى المنصور بالله عليه السلام، كتابا بخط المهدى فيه حروف المعجم بخط كان الإمام قبله يكاتب به الدعاة. فقال المنصور بالله (ع) : انقله بخطك. وقد كان عرفنى معناه. ثم قال لى : لما أزمع القائم بأمر الله (صلع) على الخروج إلى المغرب جمع ولده وأنا فيهم فقال : أنتم ترونني وما أخرج عليه من هذه العلة التى تعرض لى وما أخلف مولانا – يعنى المهدى

[١٤]– الرموز السرية فى المراسلات المغربية عبر التاريخ : د. عبد الهادى التازى، نشر المعهد الجامعى للبحث العلمى، الرباط، المغرب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٦

[١٥]– علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب : د. محمد مراياتى ، يحيى مير علم، محمد حسان الطيان، تقديم الدكتور شاكر الفحام، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

(ع) – فيه من العلة، ولا أدرى ما يكون من أمر الله. وهذا قلم يتوارثه الأئمة يكتبون به أسرارهم، وبيانه وشرحه تحته يكون عندكم. فما كتبت به إليكم عرفتموه وما أردتم ستره كاتبتمونى به"[١٦].

وجاء فى الرسالة الجامعة التى يعتقد الإسماعيلية أن الإمام أحمد بن عبد الله (ت ٢١٢هـ) هو الذى كتبها ما يشير إلى أن الكتابة السرية نشأت مبكرا فى تاريخ الإسماعيلية، يقول الإمام أحمد "ولما تحقق عندنا، وقام فى وهمنا وتصورنا بأنفسنا، أنه لابد أن تقع رسالتنا فى يد غير أهلها، أو من عساه يرفضها، وينكرها بجهله، إذا خفيت عليه معانيها، ولا يعلم الغرض الذى قصدنا إليه فيها، من توحيد الله سبحانه، وإقامة عدله فى خلقه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وإنا قد أوجبنا على أنفسنا، وتقلدنا القول منا على ذاتنا، أنا نورد فيها، مجامع المقولات بالبراهين على جميع ما يوجد من الخلقة بحسب القدرة والاستطاعة، وإنا لما بسطنا هذا الكتاب لإخواننا الكرام أيدهم الله تعالى، المعروفين بإخوان الصفا، وخلان الوفا، أولى السرائر المكتومة، والعلوم المكنونة، التى لا يمسها إلا المطهرون، وجب لنا وصلح علينا، أن نخفى ما نريد أن نكشفه ونستر ما أردنا أن نوضحه بعلامات تنغلق معانيها، ويعتاص قفلها، ويتعسر مفتاحها إلا على من هو أهلها، ومن استجاب إليهم ورغب فى صحبتهم من غيرهم، فليس يعسر عليه شىء من ذلك، ورأينا أن نكتب ما نريد لئلا يشرك إخواننا فى الوقوف عليه غيرهم، ولا يصل إليه على ما هو به الأهم، بحروف ركبناها وكلمات نظمناها وجعلنا لها مقدمة وترجمة، إذا وقفت عليها وبان لك معناها انفتح لك غلقها، وحصل بيدك مفتاحها، وهذه صورتها فتدبرها بنفسك الزكية، وأنوارك المضيئة التى تسعى بين يديك يوم القيامة، فتفوز بالنعيم الدائم، والحياة الأبدية السعيدة إن شاء الله"[١٧] . ثم ذكر الإمام أحمد صورة حروف الكتابة السرية وما يقابل كل حرف منها من حروف اللغة العربية[١٨]

وقد استخدم الإسماعيلية الكتابة السرية فى كتبهم كما نرى فى رسائل الكرمانى(ت ٤١١هـ)[١٩]، ورسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد[٢٠]، كما استخدموا تلك الكتابة فى تفاسيرهم، كما نرى فى كتاب الكشف، ومزاج التسنيم، ومسائل مجموعة، وقد استطاع المفسرون من خلال الكتابة السرية أن يذكروا بعض الكلمات بطريقة مرمزة تخفى على القارئ،

---

[١٦]- كتاب المجالس والمسايرات : القاضى النعمان بن محمد، تحقيق الحبيب الفقى وإبراهيم شبوح ومحمد اليغلاوى، دار المنتظر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ص ٣٠

[١٧]- الرسالة الجامعة: أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ص٢٣٦ ، ٢٣٧

[١٨]– انظر الرسالة الجامعة ص ٢٣٨

[١٩]– مجموعة رسائل الكرمانى : أحمد حميد الدين الكرمانى، تحقيق د. مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١٢٩

[٢٠]- رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد: على بن محمد بن الوليد (ضمن أربعة كتب إسماعيلية – مرجع سابق)، ص ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠

ولولا ما وجد فى بعض كتب الإسماعيلية من فك لرموز تلك الكتابة السرية لما استطعنا أن نفهم المراد من تلك الرموز، ولا ما تعبر عنها ولأصبحت تلك التفاسير مبهمة تماما[٢١].

ونلاحظ على الكتابة السرية خمس ملاحظات:

الأولى : أن حروف الكتابة السرية فى الرسالة الجامعة تختلف عن حروف الكتابة السرية فى التفاسير الثلاثة، وقد استنتج الدكتور محمد كامل حسين من ذلك أن لكل كاتب رمزا خاصا به[٢٢].

الثانية : أن حروف الكتابة السرية فى التفاسير جاءت أحيانا فى الكتاب الواحد بشكلين مختلفين، بحيث كان لكل حرف من حروف اللغة العربية صورتان مختلفتان تقابلانه فى الكتابة السرية.

الثالثة : أن بعض كلمات الكتابة السرية تنتج عند حلها كلمات رمزية أخرى، تحتاج بدورها إلى الحل، وعلى سبيل المثال نجد فى مزاج التسنيم كلمة بالحروف السرية تنتج عند مقابلتها بالحروف العربية كلمة (الميم)، التى هى بدورها رمز يرمز بها المفسر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢٣].

الرابعة : ثمة رموز سرية خاصة تختلف عن رموز الكتابة السرية، كالرمز الذى نجده فوق البسملة فى صدراة مزاج التسنيم[٢٤] والذى يشير إلى اسم الله الأعظم، أو إلى جملة (الله لا إله إلا هو)، كما تكشف عنه رسالة الاسم الأعظم[٢٥].

الخامسة : لم تقتصر الكتابة السرية على الإسماعيلية المتقدمين بل طور المتأخرون منهم أشكالا أخرى من الكتابة السرية، فقد ذكر فرهاد دفترى أن النزاريين – وهم أحد فروع الإسماعيلية – المعروفين باسم الخوجة قد طوروا خطا باسم (خوجكى)، "وقد ارتبط الدافع لهذا التطوير بحاجة جماعة الخوجة الإسماعيليين النزاريين للمحافظة على

---

[٢١]- انظر جداول فك رموز الكتابة السرية فى :

– كتاب الكشف (شتروطمان)، ص (كه) ، وكذلك كتاب الكشف(غالب)، ص ١٧

– مزاج التسنيم، ص ٢١٠، ونقلها عنه د. محمد حسين الذهبى ونشرت بعد وفاته فى الجزء الثالث من كتاب التفسير والمفسرون، ص ١٠٣

– مسائل مجموعة، ص ٩

– وقد أثبت الدكتور محمد كامل حسين رموز كتاب الكشف ورموز الرسالة الجامعة وما يقابلها من الحروف العربية، انظر مقدمة تحقيق ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٤٤

[٢٢]- انظر مقدمة تحقيق ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة، ص ١٤٤

[٢٣]– مزاج التسنيم، ص١٠، وانظر نماذج من الكتابة السرية عند الإسماعيلية فى ملحق البحث

[٢٤]– انظر ملحق البحث

[٢٥]- رسالة الاسم الأعظم : المؤلف مجهول، (ضمن أربعة كتب إسماعيلية – مرجع سابق)، ص ١٨٣

مجموعاتها من الأدب الدينى و(الجنان)[٢٦] المتداولة بالعامية، عبر كتابتها بأبجدية محلية مميزة ومألوفة لدى أفراد الجماعة وسهلة التعلم"[٢٧]، كذلك ذكر دفترى أن البهرة الطيبيين – أحد فروع الإسماعيلية أيضا – قد طوروا فى الهند "شكلا خاصا من اللغة الغجراتية المشربة بالكلمات العربية والفارسية لغة للحديث، بينما استخدموا الخط العربى فى الكتابة. وأطلقوا على هذه الصيغة العربية – الغجراتية المميزة فى التعبير الأدبى اسم (لسان الدعوة)، وتم إنتاج عدد من الأعمال التاريخية والشعرية بهذه اللغة"[٢٨].

كل هذه الملاحظات تؤكد على أمر واحد هو أن الكتابة السرية عند الإسماعيلية كانت لها مكانة خاصة قديما وحديثا، وأنهم جدوا كل الجد فى إخفاء المقصود منها، وقد بلغ اجتهاد الإسماعيلية فى جعلها مستغلقة الغاية، وذلك كله حرصا منهم على سرية تفاسيرهم.

الوسيلة الثالثة : التكنية

استخدام الكنايات إحدى الوسائل المتبعة عند الإسماعيلية للحفاظ على سرية تفاسيرهم، حيث تحاشى مفسرو الإسماعيلية التصريح بأسماء بعض الشخصيات سواء أكانوا ممن يتولونهم أم ممن يتبرأون منهم ولهم منزلة عند مخالفيهم.

وإننا لنطالع فى التفاسير السرية كلمات مثل (الميم)، (العين)[٢٩] اللتين يكنى بهما صاحب مزاج التسنيم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى بن أبى طالب ، ونطالع كذلك (اللات) إمام الضلالة الذى نصبوه لهم قائدا[٣٠]، وكذلك (الجبت)[٣١]، إلى غير ذلك من الكنايات المستخدم للتعبير عن شخصيات بعينها.

يقول محمد كامل حسين عن الكنايات التى كان يستخدمها المؤيد فى الدين الشيرازى "فكان طورا يقول: (الظالم الأول)، وطورا : (الذى اغتصب الوصاية دون نص)، وسماه فى ديوانه : (الهبل الاول)، بل صرح باسم عتيق وهو

[٢٦]- الجنان أشعار دينية إسماعيلية

[٢٧]– معجم التاريخ الإسماعيلى: فرهاد دفترى، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقى بالاشتراك مع معهد الدرسات الإسماعيلية، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٣٧

[٢٨]– معجم التاريخ الإسماعيلى، ص ٢٤٨

[٢٩]– مزاج التسنيم ص ٤، ٥ وغيرهما

[٣٠]- مزاج التسنيم ، ص ٦

[٣١]- مزاج التسنيم ، ص ٦

لقب أبى بكر. أما عمر فسماه المؤيد فى الديوان (بأدلم) .. وصرح كذلك باسم : (نعثل) يريد بذلك عثمان بن عفان"[٣٢].

يقول صاحب مزاج التسنيم فى تفسير قوله تعالى (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) [النور : ٢] "يعنى الأول والثانى"[٣٣] والمراد بالأول أبو بكر الصديق، والمراد بالثانى عمر بن الخطاب.

ولا شك أن استخدام الكنايات فى مثل هذا التفسير للإشارة إلى مثل هذه الأسماء كانت وسيلة أكثر أمنا من التصريح

المبحث الثالث : دوافع سرية التفسير عند الإسماعيلية

<u>أولا : دوافع عقائدية</u>

بالرغم من أن تحريم كتمان العلم جاء فى القرآن الكريم والسنة والمطهرة بنصوص قاطعة فإنه قد وجدت فى بعض المصادر السنية بعض الآراء التى تدعو إلى كتمان العلم أو تبرره، "ولقد لقى انتشارا كبيرا، واستشهادا كثيرا تعليق ابن عباس على الآية ١٢ من سورة الطلاق (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) ، حيث يقول ابن عباس فى ذلك : لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى ، وفى لفظ آخر : لقلتم إنه كافر. كذلك نسب إلى على قول موجه إلى أولاده يماثل ما ذكر، ساقه الغزالى فى قالب من الشعر :

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يأتونه حسنا

بل كذلك البخارى المتثبت لم يعدل عن أن يدرج فى صحيحه تصريحا لأبى هريرة فى هذا المعنى : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين، فأما أحدهم فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم"[٣٤].

فإذا كان هذا هو الحال فى بعض المصادر السنية فإن الشواهد والآثار التى تدعو إلى كتمان العلم لا شك أنها ستتضاعف فى المصادر الإسماعيلية حتى تصبح عقيد راسخة من أصول المذهب، يقول جعفر بن منصور اليمن " فإنه جاء الخبر عن الأولياء، والأولياء عن الأوصياء، والأوصياء عن الدعاة، والدعاة عن النقباء، والنقباء عن النجباء، والنجباء عن الأبواب، والأبواب عن الحجج أنهم قالوا : قولوا لأهل الولاية : اكتموا سرنا، وأطيعوا أمرنا، ولا

---

[٣٢]- ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة، ص ١٤٤

[٣٣]– مزاج التسنيم، ص ١٥٩

[٣٤]– مذاهب التفسير الإسلامى: إيجناس جولد تسيهر، ترجمة عبد الحليم النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م، ص٢٣٦

تدفعوا قولنا نجعلكم الصفوة من الخلق، فقد كان من قبلكم من الأمم السالفة أدوا الأمانة، وكتموا السر، وقد عملوا بما أمروا، فجعلهم الله رسلا إلى أمنائه، وأبوابا إلى أوليائه، فالله الله يا أخى لا تتعرض لسخط الله، لولا ما فهمته منك، وعلمته من مبلغ درجتك، ما كشفت لك فى هذا الباب، وقد جعلت الله عليك كفيلا، ومن ذلك قول السيد الأكبر صلوات الله عليه: إنما أهلك من الأمم من هلك إذ لم يتفكروا فى ذلك ولم يتدبروا وأذاعوا السر، فمن أذاع السر فقد جحد الحق بعد ما عرفه"[٣٥].

ويمكننا جمع مثل هذه المرويات المتواترة فى كتب الإسماعيلية تحت مبدأ عقدى واحد هو مبدأ (التقية) وهو المبدأ الشيعى الذى قدم الإسماعيلية من خلاله مبررا لأنفسهم يجيزون به إظهار ما يخالف اعتقادهم، ومن ثم انقسمت كتب الإسماعيلية إلى كتب الظاهر وكتب الباطن أو الكتب السرية.

وإذا أردنا أن نلتمس السبب وراء ظهور مبدأ التقية وما أدى إليه من السرية والكتمان، فإننا نجد السبب وراء هذا المبدأ يكمن فى عقيدة (الولاء والبراء)، تلك العقيدة التى تلزم من كان على عقيدة الإسماعيلية بموالاة أئمة آل البيت بحسب العقيدة الإسماعيلية، والبراءة من أعدائهم ومخالفيهم بحسب عقيدة الإسماعيلية كذلك.

ولم يكن من الميسور على الإسماعيلية – حتى فى دور الظهور – التصريح بأسماء من يوالونهم ولا بأسماء من يتبرأون منهم، لذلك لجأ الإسماعيلية إلى السرية وإخفاء كتب الباطن التى تكشف عن عقيدتهم الصريحة فى الولاء والبراء.

ثانيا : دوافع سياسية

عقب وفاة الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ)، بدأ الإسماعيلية فى الدعوة سرا للإمام محمد بن إسماعيل (ت ١٩٣هـ) – وكان الإمام إسماعيل بن جعفر (ت ١٣٨ أو ١٤٢ هـ) قد توفى أو أشيع أنه توفى فى حياة أبيه – مستقلين بعقائدهم عن أهل السنة من جهة وغيرهم من الشيعة من جهة أخرى، وقد أدت هذه العقيدة الخاصة إلى أن يصبح الإسماعيلية على عداء مع أهل السنة ومن سواهم من الشيعة على حد سواء، بحيث يمكننا أن نصف الإسماعيلية بأنهم الرافضة النواصب !! ، فهم عند أهل السنة روافض حيث رفضوا كثيرا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعند غيرهم من الشيعة نواصب، حيث لم يقر الإسماعيلية بإمامة بعض أئمة الاثنى عشرية أو الزيدية، بل وناصبوهم العداء، كما هى عقيدة الإسماعيلية فى الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ت ١٨٣هـ)، حيث عده الإسماعيلية منازعا لإمام العصر محمد بن إسماعيل ومن ثم فقد ناصبوه العداء، حتى إن الاثنى عشرية يذكرون أن محمد بن إسماعيل حرض هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ) على قتل موسى بن جعفر أو سجنه. وبذلك أصبح الإسماعيلية محاطين بأعدائهم من كل جانب، فأهل السنة أعداؤهم والشيعة الاثنى عشرية والزيدية أعداؤهم كذلك.

[٣٥]– كتاب الكشف (شتروطمان)، ص ٣– ٤

ولما كانت النزاعات العقائدية لا تنفك عن الأهداف السياسية، فقد سعى الإسماعيلية إلى إقامة خلافة تعبر عن عقيدتهم، لكن السبيل إلى إقامة خلافة إسماعيلية لم تكن معبدة، بل كانت الصراعات السياسية على أشدها بين الفرق الدينية، وما كانت الإسماعيلية لتنافس أهل السنة – بسلطتهم القائمة المتمثلة فى الخلافة العباسية – ، والاثنى عشرية، والزيدية، والخوارج، وما كانت لتستطيع تهديد الخلافة العباسية بثورات كبرى كثورة البساسيرى وثورات القرامطة فى البحرين والشام، وإقامة دولة خاصة – فى البداية– فى اليمن على يد الصليحيين، وخلافة فاطمية – أخيرا – فى إفريقيا على يد المهدى، ثم ما تلى ذلك من قيام جماعة الحشاشين فى ألموت، ما كان لها أن تفعل كل ذلك إلا من خلال الأخذ بجميع أساليب الدعوة السرية، والتى كانت التفاسير السرية واحدة منها. بل إن السرية ظلت ملازمة للتفاسير الإسماعيلية حتى فى دور الظهور – وليس فقط فى دور الستر – كما نرى فى كتاب الكشف الذى عاش صاحبه فى ظل الخلافة الفاطمية.

المبحث الرابع : نظرية التفسير عند الإسماعيلية وإشكالاتها

أساس نظرية التفسير عند الإسماعيلية هى قاعدة (المثل والممثول)، التى يمكن التعبير عنها أيضا بقاعدة (الظاهر والباطن)،أو (التنزيل والتأويل) أو (الرمز والمرموز). فالمثل هو ظاهر التنزيل الذى يتولى الرسول بلاغه، والممثول هو باطنه الذى يتولى الإمام بيانه، ولاختصاص الإسماعيلية بهذه القاعدة عرفت الإسماعيلية باسم (الباطنية)، وقام أهل السنة بالتصنيف فى الرد على باطنيتهم، ككتاب (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) لمحمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمنى (توفى فى القرن الخامس الهجرى)، وكتاب (فضائح الباطنية) للغزالى (ت٥٠٥هـ)، وقد ذكر علماء أهل السنة فى ردودهم قاعدة المثل والممثول التى تميز بها الإسماعيلية، فالحمادى الذى عاصر دولة الصليحيين فى اليمن يذكر أنهم كانوا يقولون لمن يجدون فيه ميلا إلى دعوتهم : "اكشف عن السرائر، ولا ترض لنفسك ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله، واعرف معانى الصلاة والطهارة، وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بالرموز والإشارة دون التصريح فى ذلك والعبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة"[٣٦].

ويتحدث الحمادى عن عبد الله بن ميمون القداح ودوره فى إرساء قاعدة (المثل والممثول) فيقول " جعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا، ولكل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا، وزخرف الأقوال، وضرب الأمثال وجعل لآى القرآن شكلا يوازيه، ومثلا يضاهيه، وكان الملعون عارفا بالنجوم، معطلا لجميع العلوم، (يريدون ليطفئوا نور الله

[٣٦]– كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة : محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى، تحقيق عزت العطار، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م، ص ١٢

بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون)، فجعل أصل دعوته التى دعاها، وأساس بنيته التى بناها، الدعاء إلى الله وإلى رسوله، ويحتج بكتاب الله، ومعرفة مثله وممثوله"[٣٧].

كما أشار الغزالى إلى قاعدة المثل والممثول والظاهر والباطن عند الباطنية، حيث ذكر أن من أقوالهم : "كل ما ورد من الظواهر فى التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية فكلها أمثلة ورمز إلى بواطن"[٣٨].

ولم تتجاوز نقول أهل السنة عن الإسماعيلية حول قاعدة المثل والممثول ما قاله الإسماعيلية فى كتبهم عن تلك القاعدة، فمن ذلك ما جاء فى شعر المؤيد فى الدين إذ يقول فى إحدى قصائده :

اقصد حمى ممثوله دون المثل ذا إبر النحل وهذا كالعسل[٣٩]

ويقول فى قصيدة أخرى :

والذى قال فى الكتاب تعالى مثل ذاك تحته ممثول[٤٠]

ويقول فى مجالسه " خلق الله أمثالا وممثولات، فجسم الإنسان مثل، ونفسه ممثول، والدنيا مثل، والآخرة ممثول، وأن هذه الأعلام التى خلقها الله تعالى وجعل قوام الحياة بها من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل، وأن قواها الباطنية التى تؤثر فى المسموعات هى ممثول تلك الأمثال"[٤١].

ويقول ثقة الإمام علم الإسلام (توفى فى القرن الخامس الهجرى) " معشر المؤمنين: إن الله تعالى ضرب لكم الامثال جملا وتفصيلا، ولم يستح من صغر المثال إذا بين به ممثولا، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلا، وجهره إلى سره سبيلا، لتتضح المحجة لمن أطاعه وأرضاه، وتنقطع الحجة على عن من خالف إمام عصره وعصاه، والبعوضة التى أخبر الله تعالى أنه لا يستحى أن يضربها مثلا فهى مع صغرها من عجيب مخلوقاته، إذ كانت تشبه الفيل فى أكبر أدواته وبينهما من التفاوت فى العظم والصغر والقوة والضعف ما لا خفاء به، فلم يبينها تعالى احتقارا، بل جعلها مثلا

---

[٣٧]– كشف أسرار الباطنية، ص ١٧

[٣٨]– فضائح الباطنية : أبو حامد الغزالى، تحقيق محمد على القطب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٥٩

[٣٩]– ديوان المؤيد فى الدين: القصيدة الثانية، ص ٢٢١

[٤٠]– ديوان المؤيد فى الدين: القصيدة الخامسة، ص ٢٣٤

[٤١]– المجالس المؤيدية : المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٧٤م ٥٢/٢

يقدح به أنوارا، وأخبر جل من مخبر أن الذين آمنوا يعلمون أنه الحق من ربهم، وهم الذين وصفهم الله بقوله (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) "[٤٢].

ويظهر أثر نظرية التفسير الإسماعيلية القائمة على قاعدة المثل والممثول واضحا فى التفاسير السرية .

يقول جعفر بن منصور اليمن فى (سرائر وأسرار النطقاء) " وقد ذكر أهل السير والتواريخ، أن الحجر خرج من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن، فاسود مما ناله من نجاسة المشركين، والكفار والمنافقين، والأشرار والكذابين، والفجار والفاسقين، الخارجين عن طاعة الأخيار، والتابعين لأئمة الكفر، الداعين إلى النار، وذلك إشارة إلى باب الله وحجابه، وحجته على عباده، كان ظاهرا فى العالم مكشوفا، قائما بحكمة الله وتأييده، فلما كثر المشركون والمنافقون، ووقع التكذيب به والجحود، استتر عنهم وأخفى أمره لكى لا يعرفوه، فكان استتاره هو سواده، فعرفوا المثل فعبدوه، وجحدوا ممثوله فجحدوه، وأنكروا التأويل وكذبوه، وتمسكوا بالظواهر واعتقدوه.

ولو كانت عقولهم صافية، وأبصارهم مضيئة، وأفهامهم ذكية، لعلموا أن ذلك جعل لهم مثلا دالا على ممثوله، فعرفوا الممثول بمثله، إذ يقول جل اسمه : (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون). فاعلم أنه أخفى الممثول وستره، وجعل مثله طريقا إلى معرفته، اختبارا لعباده، وامتحانا لهم"[٤٣].

واعتمادا على قاعدة المثل والممثول التى عرضها جعفر بن منصور اليمن فى (سرائر وأسرار النطقاء) قام جعفر بتفسير آيات مختارة من القرآن الكريم فى (كتاب الكشف).

يقول جعفر بن منصور اليمن مفسرا سورة التين "قال الله عز وجل (والتين والزيتون) قال الحسن والحسين، (وطور سينين) محمد ع.م سيد المرسلين، (وهذا البلد الأمين) يعنى أمير المؤمنين عليا، وقوله (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) يعنى الأول لأنه كان أحسن معرفة من الثانى، (ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصاحات) بعمل أهل الطاعة للإمام الذين أطاعوه وهم محمد بن أبى بكر، وهشام بن عتبة بن أبى وقاص، ومن لحقهم من الصالحين من أولادهم، (فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين) يا محمد فمن يقاولك فى ولاية أمير المؤمنين (أليس الله بأحكم الحاكمين)"[٤٤].

و(الأول) فى تفسير جعفر بن منصور اليمن كناية عن أبى بكر الصديق، و(الثانى) كناية عن عمر بن الخطاب، وبذلك تلقى الخلافات العقائدية والسياسية بظلالها على التفسير السرى لتحول ظاهر الآيات إلى ممثولات باطنية .

---

[٤٢]– المجالس المستنصرية: ثقة الإمام علم الإسلام، تحقيق د. محمد كامل حسين ، دار الفكر العربى، ط١، ص ٩٨ ، ٩٩

[٤٣]– سرائر وأسرار النطقاء : جعفر بن منصور اليمن، تحقيق د . مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٤٢، ٤٣

[٤٤]– كتاب الكشف، ص ٢٤

ويستعين جعفر بن منصور بقاعدة المثل والممثول في تفسير قوله تعالى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف : ٢٤] ليقرر من خلال تلك القاعدة وجوب كتمان العلم والتمسك التام بالسرية فيقول " ومن التفسير الظاهر فى هذا أنها همت به أن يأتيها وهم بها أن يقتلها، أراد أن يذبحها (لولا أن رأى برهان ربه) علم بما علمه الله أنها لم تستوجب الذبح ولم يجب له عليها، (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) السوء ما أراد هو من ذبحها فى غير وجوبه، والفحشاء ما أرادت هى، وهذا أحسن مما يقول أهل الظاهر وأقرب إلى المعنى الباطن.

والمعنى فى الباطن أن امرأة العزيز يشار بها إلى وزير من وزرائه، كان له رغبة فى الحق ، وسمع بيان يوسف صلى الله عليه وحسن شرحه، وفى ظاهر القول وذلك جماله والحسن الذى يوصف به هو الجمال، والحسن فى الباطن هو حسن البيان والشرح، فهم الوزير أن يدعوه يوسف وانقاد إليه راغبا، والدعوة مثل النكاح فى الباطن، وهم يوسف أخذ العهد عليه لما رأى من رغبته وفهمه وحرصه فى الطلب، قال الله عز وجل (لولا أن رأى برهان ربه) يعنى نظر فى أمر الله وحدود دينه أنه لا يجيب للوزير ما سأل من العلم وكشف له حتى يؤخذ عليه العهد، والعهد لا يكون إلا للإمام يعاهد لنفسه، أو يعاهد له حججه أو دعاته فلم يكن يوسف مطلقا فى ذلك الوقت فى أخذ العهد ولا ذكر مقامه، ولا كشف باطن علمه، فأمسك لهذا البرهان الذى منح له من براهين حدود الله تعالى، (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) فالسوء التعدى فى حدود الله تعالى بأخذ العهد قبل أن يطلق له ذلك، والفحشاء كشف العلم لمن لم يؤخذ عليه العهد، وكذلك كان الوزير الذى أخذ عليه يوسف صلى الله عليه أن يكشف له علمه"[٤٥].

ويتقارب هذا التفسير للآيات مع تفسير صاحب مزاج التسنيم إذا يقول " يعنى أن تكشف أمرها له (وهم بها) يعنى يكشف ذلك لها، (لولا أن رأى برهان ربه) وهو ما طرقه من الإلهام عن كتم ذلك فى ذلك الحد"[٤٦].

وقد أشار صاحب تفسير مزاج التسنيم إلى قاعدة المثل والممثول فى تفسير قوله تعالى (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) [يوسف : ١١١] بقوله "يعنى هذا القرآن لم يكن من نفثات الصور الشيطانية بل كان نزوله من لدى السابق، وكذلك ممثوله لم يفتر مقامه بل كان اختياره، والذى كان له حجابا من هنالك لموجب سبقهما على جميع قباب الأنوار، وذلك الاختيار هو تجليه بهما بواسطة من فوقهما من الدوائر، (وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يعنى تلك الكتب المنزلة من لدى العاشر وكذلك ممثولاتها"[٤٧].

[٤٥]– كتاب الكشف ، ص ٢٦، ٢٧

[٤٦]– مزاج التسنيم، ص ٣٨

[٤٧]- مزاج التسنيم، ص ٤٩

والمراد بالدوائر فى كلام ضياء الدين دوائر الأفلاك العشرة المسئولة عن الخلق – بحسب الاعتقاد الإسماعيلى – والعاشر هو الفلك الأخير منها الذى خلق العالم. أما السابق والحاجب فالمراد بهما النبى والوصى، والنبى هو الذى يظهر المثل، والوصى هو الذى يتولى بيان الممثول.

ويطبق صاحب مزاج التسنيم قاعدة المثل والممثول حتى فى وضع عناوين تفسير السور فنجده يقول على سبيل المثال " حقائق سورة يونس"[٤٨] ، "حقائق سورة هود وإيضاح بعض سرها"[٤٩]، "حقائق سورة النحل وإيضاح بعض سرها الذى كم دونه من قفل"[٥٠]، " حقائق سورة الكهف وإيضاح بعض سرها الذى يصان أن يباح لغير أهله أو يكشف" [٥١]. وهكذا تتردد فى العناوين كلمات مثل (حقائق)، (سر)، (قفل) ونحو ذلك فى إشارة واضحة لقاعدة الظاهر والباطن أو المثل والممثول .

فإذا ما أردنا أن نطالع بعض هذه الحقائق التى لا تكشف إلا لغير أهلها، وجدناه يقول فى تفسير قوله تعالى (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) [الكهف :٦] "يعنى خالع مقام وصيك على أثر ما هم نابذون له وراء ظهورهم (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) يعنى إن لم يؤمنوا بما أحدث الله من ولاية الوصى (أسفا) يعنى خوفا من خروجهم عن دعوتك"[٥٢].

ويقول فى تفسير قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) [النور :٤٥] "(خلق كل دابة) يعنى صور كل صورة (من ماء) يعنى من العلم، (فمنهم من يمشى على بطنه) يعنى بلغ حد الظاهر، (ومنهم من يمشى على رجلين) يعنى حدى الظاهر والتأويل، (ومنهم من يمشى على أربع) يعنى بلغ حدود الظاهر والحقائق والدقائق"[٥٣]. وكلامه تفسير باطنى يسعى لإثبات صحة التفسير الباطنى.

وقريب من تلك الحقائق والدقائق الباطنية التى أشار إليها ضياء الدين فى مزاج التسنيم ما جمعه صاحب كتاب (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية)، حيث لا يخرج منهج التفسير فى (مسائل مجموعة) عن منهج التفسير المتبع فى (كتاب الكشف) و(مزاج التسنيم) ، ذلك المنهج الذى اتخذ من قاعدة المثل والممثول منطلقا له.

---

[٤٨]- مزاج التسنيم، ص ٩

[٤٩]– مزاج التسنيم، ص ٢٠

[٥٠]– مزاج التسنيم، ص ٦٨

[٥١]– مزاج التسنيم، ص ٩٦

[٥٢]- مزاج التسنيم، ص٩٧

[٥٣]– مزاج التسنيم، ص ١٦٧

يقول صاحب (مسائل مجموعة) "ولما كان الدين ظاهرا وباطنا، قام النبى صلى الله عليه وآله بتبليغ الظاهر، وصرف إلى وصيه نصف الدين، وهو الباطن، ولذلك كنى عن منزلته بليلة النصف – يريد النصف من شعبان – يعنى صاحب التأويل، الذى هو نصف الدين الذى جاء به الرسول صلى الله عليهما وعلى آلهما، ولذلك خاطبه الله بقوله (فول وجهك شطر المسجد الحرام) فعنى بوجهه وصيه، وعنى بالمسجد الحرام دعوته والتى هى الحرم الذى من دخله كان آمنا إذا أطاعه واستقام على ذلك، والشطر الذى ولاه إياه بتأويل التنزيل والشريعة اللذين جاء بهما الرسول صلى الله عليهما وعلى آلهما"[٥٤].

ويقول فى تفسير قوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [الجمعة :٢] " فالكتاب هو ظاهر القرآن الكريم، والحكمة هى تأويله ومعانيه"[٥٥].

وانطلاقا من قاعدة (المثل والممثول) أو (الظاهر وبالباطن) أو (التنزيل والتأويل) نجد صاحب (مسائل مجموعة) يقول فى تفسير قوله تعالى (قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ) [البقرة :٢٥٩] :"يعنى : يتغير، وهو أنه أمره أن ينظر فيما معه من علم الظاهر الذى هو كالطعام، وعلم الباطن الذى هو كالشراب، ليقوم له برهان مراتب تلك الحدود[٥٦]، وقوله (وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ) إشارة فى هذا الموضع إلى حده الذى يحمل عنه ثقل الطلبة، كما يحمل الحمار ثقل راكبه، ويريح عليه من تعب المسير . والحمار المذموم هو من علماء المخالفين. والحمار المحمود هو من علماء الحق. ولذلك ما صار فى اليهود يتباركون بحافر حمار عزير لما سمعوه له من التشريف، فلزموا المثل وتركوا الممثول"[٥٧].

ويستمر صاحب (مسائل مجموعة) فى ذكر ممثولات المثل، فيفسر أبواب الجنة الثمانية بأنهم "الأئمة السبعة والقائم على ذكره السلام، وأبواب النار السبعة هم أضداد الأئمة السبعة، والقائم لا ضد له لقهره الأضداد عند قيامه"[٥٨].

لقد اعتمد الإسماعيلية فى تأسيس قاعدتهم فى المثل والممثول على ما ورد فى القرآن الكريم من آيات تشير إلى ضرب الأمثال كقوله تعالى (وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) [إبراهيم : ٤٥]، وقوله تعالى (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) [الفرقان: ٣٩] ، وقوله تعالى (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) [العنكبوت :٤٣] ، وقوله تعالى (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) [الزمر :٢٧].

---

[٥٤]– مسائل مجموعة، ص ٣٦

[٥٥]– مسائل مجموعة، ص ٣٨

[٥٦]– الحدود فى العقيدة الإسماعيلية مساعدون للقائم

[٥٧]- مسائل مجموعة، ص ٦٤

[٥٨]– مسائل مجموعة، ص ٧٩

ونتفق مع الدكتور عبد العزيز سيف النصر فى قوله " ونحن إذا استعرضنا كل آية من الآيات السابقة على حدة، فإننا لا نجد فيها شاهدا على مدعى الإسماعيلية الباطنية فى نظريتهم للمثل والممثول، والظاهر والباطن، فقوله تعالى (وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) فالمراد ما أورده الله فى القرآن مما يعلم به أنه قادر على الإعادة، كما قدر على الابتداء، وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المعجل، وذلك فى كتاب الله كثير، وقوله تعالى (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) أى بينا لهم الحجج ووضحنا لهم الأدلة وذكرنا لهم القصص العجيب الزاجر، عما هم عليه من الكفر والمعاصى بواسطة الرسل، وقوله تعالى (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) وتلك الأمثال أى هذه المثل وغيرها من الأمثال التى فى القرآن نضربها للناس تنبيها لهم، وتقريبا لما بعد من أفهامهم، (وما يعقلها) أى يفهمها ويتعقل الأمر الذى ضربناها له لأجله (إلا العالمون) أى الراسخون المتضلعون فى العلم، فهم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم، وما يشاهدونه .. وقوله تعالى (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) أى بينا للناس ما يحتاجون إليه فى أمر دينهم، وذلك بضرب الأمثال (لعلهم يتذكرون) فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان"[٥٩].

وإذا تجاوزنا عن إشكالية تأسيس قاعدة المثل والممثول على مثل تلك الآيات الكريمة، فإننا نجد إشكالية أخرى فى التأويلات الباطنية – كما رأينا فى النماذج التى عرضناها – يتمثل فى عدم وجود مستندات لغوية أو نقلية أو عقلية يمكن من خلالها إيجاد علاقة بين الأمثال وما ذهبوا إليه من الممثولات، بل تفتقد تفسيراتهم افتقادا شديدا إلى وجود جامع مشترك بين الظاهر والباطن، أو بين الرمز والمرموز، أو بين التنزيل والتأويل.

والخلاصة أن الإسماعيلية قد تكلفوا فى تفسيراتهم تكلفا واضحا فى تحميل آيات الكتاب العزيز ما لا تحتمل، حتى أظهرت تفاسيرهم القرآن الكريم – حاشاه – كأنه كتاب إسماعيلى يعرض مذهبهم.

[٥٩]– التأويل الإسماعيلى الباطنى ومدى تحريفه للعقيدة الإسلامية : د. عبد العزيز سيف النصر، مكتبة الجامعة الأزهرية ، أسيوط ، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٣٢، ٣٣

الخاتمة ونتائج البحث

بالرغم من تهافت العقيدة الإسماعيلية فإن تأثير الإسماعيلية فى مسار التاريخ الإسلامى لا يستطيع أحد إنكاره، حتى إن ماسينيون فى دراسته عن المتنبى يطلق على القرن الرابع الهجرى اسم القرن الإسماعيلى لشدة ما بلغه تأثير الإسماعيلية فى هذا العصر، ولا تزال آثار الخلافة الفاطمية ماثلة للعيان، شاهدة على ما بلغه الإسماعيليون من التأثير السياسى والحضارى. ولا نبالغ إذا قلنا إن تأثير الإسماعيلية لا يزال ممتدا بقوة إلى يومنا هذا.

والسؤال الذى يطرح نفسه : كيف أمكن لهذه العقيدة المتهافتة أن تبلغ ذلك المبلغ من المكانة القوية والتأثير ؟

إن هذا التناقض بين تهافت العقيدة الإسماعيلية وما بلغه الإسماعيليون من المكانة والتأثير فى الإسلام – فى الماضى والحاضر – لا يمكن أن نجد له تفسيرا إلا من خلال إرجاعه إلى نظام الدعوة السرية، ذلك النظام المحكم المتميز الذى استطاع الإسماعيليون من خلاله بث دعوتهم، وتحقيق أهدافهم.

قدم هذا البحث أحد عناصر الدعوة السرية وهو التفاسير السرية التى كتبها دعاة الإسماعيلية، وقدموا من خلالها تفسيرا خاصا للقرآن الكريم لا يخرج فى مجمله عن مفردات العقيدة الإسماعيلية، وقد ظهر من خلال البحث عدة نتائج نجملها فيما يأتى :

أولا – تعد السرية خصيصة ملازمة للتفاسير الإسماعيلية، وهذه السرية جزء من السرية العامة التى أحاط بها الإسماعيلية دعوتهم. والسرية التى رأيناها عند الإسماعيلية هى الوسيلة المفضلة – قديما وحديثا – لكل دعوة أو جماعة أو فرقة تخالف العقائد السائدة، والقيم المألوفة، والفكر المتعارف عليه. ولما كانت الإسماعيلية تمثل نموذجا هاما فى الدعوات السرية فإن دراسة أساليبهم الخاصة فى السرية قد تعين فى الكشف عن الأساليب المشابهة لغيرهم من الدعوات السرية .

ثانيا – تعددت أساليب السرية فى التفسيرات الإسماعيلية فمنها :

- الكتمان، وذلك انطلاقا من مبدأ التقية الذى وفر للإسماعلية الغطاء للتحرك الآمن نحو أهدافهم.
- الكتابة السرية، وقد تفردت بها الإسماعيلية عن غيرها من الفرق الإسلامية بحيث لا نجد مثل هذه الطريقة فى الكتابة المشفرة عند أهل السنة أو الاثنى عشرية، أو الزيدية، أو الخوارج.
- التكنية، وهى الوسيلة المستخدمة لتجنب التصريح بأسماء بعض الشخصيات الذين يقف الإسماعيليون منهم موقفا خاصا، تمليه عليهم عقيدتهم فى الولاء والبراء.

ثالثا – لم تكن التفاسير السرية بمعزل عن التوجه العقدى والسياسى للإسماعيلية، بل يمكننا أن نقول إن دعاة الإسماعيلية قد جعلوا من تفسير القرآن الكريم خادما لأهدافهم العقدية والسياسية، مما أدى فى كثير من الأحيان إلى

تفسيرات للآيات القرآنية لا يمكن القبول بها ، وقد صاغ دعاة الإسماعيلية لتبرير مثل تلك التفسيرات نظرية خاصة فى التفسير أساسها قاعدة المثل والممثول.

رابعا– تتشابه قاعدة (المثل والممثول) كما نجدها فى التفاسير السرية مع نظرية المثل الأفلاطونية فى بعض جوانبها، كما تتشابه مع طريقة فيلون فى التفسير الرمزى فى جوانب أخرى، لكن دعاة الإسماعيلية حاولوا أن يوجدوا لها أصلا من القرآن الكريم، فجاءت تفسيراتهم للآيات القرآنية التى أشارت إلى ضرب الأمثال متكلفة، تصرف الآيات عن المراد منها، فضلا عن افتقار قاعدة (المثل والممثول) التى قدمها الإسماعيلية إلى أى من الحجج اللغوية أو النقلية أو المنطقية التى يمكن من خلالها قبول الانتقال من المثل إلى الممثول على النحو الذى نجده فى تفاسيرهم السرية.

ملحق

نماذج من الكتابة السرية عند الإسماعيلية

ملحق ١ : نماذج من الكتابة السرية فى كتاب الكشف

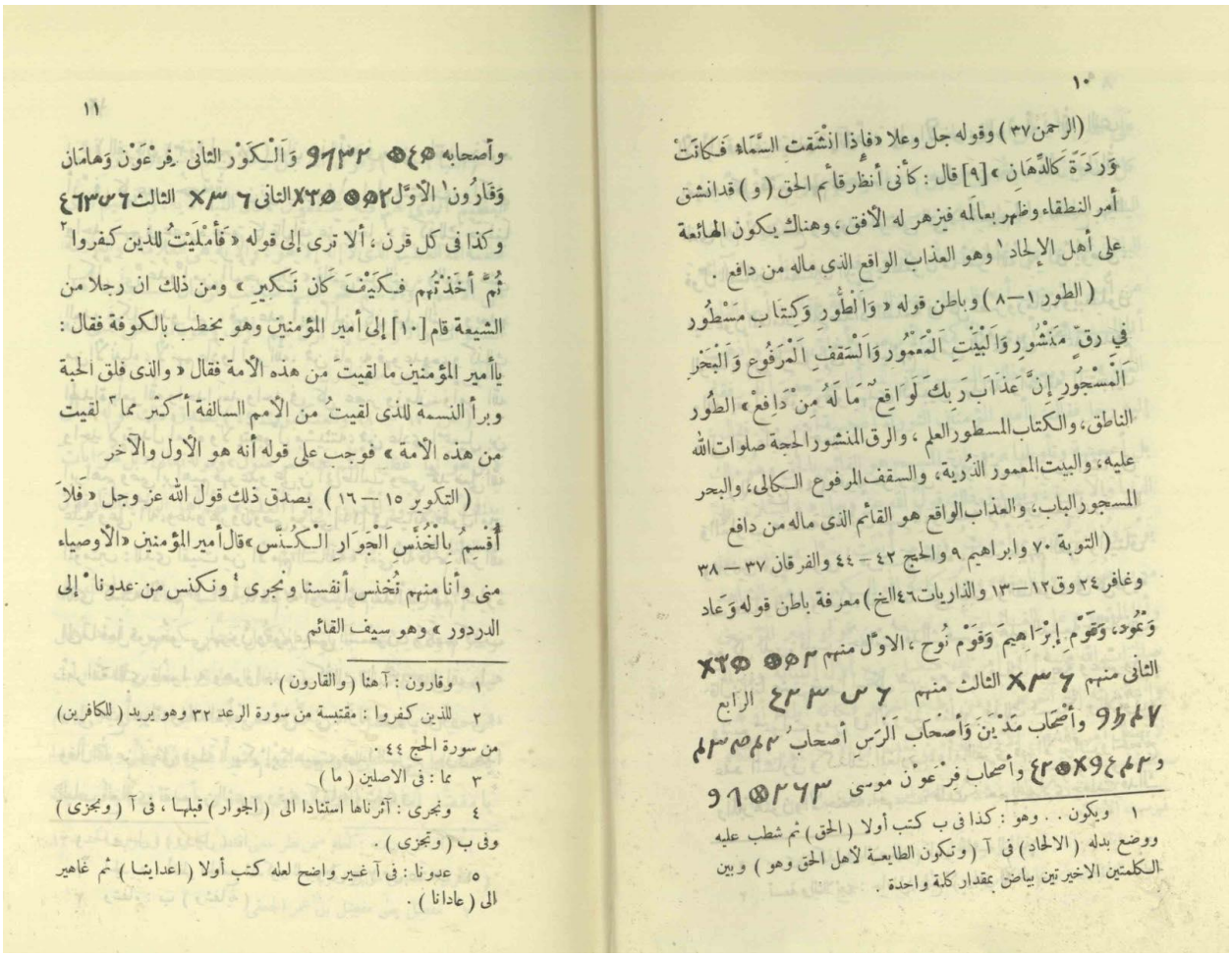

١٠

(الرحمن ٣٧) وقوله جل وعلا «فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» [٩] قال: كأنى أنظر قائم الحق (و) قد انشق أمر النطقاء وظهر بعالمه فيزهر له الأفق، وهناك يكون الهائمة على أهل الإلحاد[1] وهو العذاب الواقع الذي ماله من دافع.

(الطور ١–٨) وباطن قوله «والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع» الطور الناطق، والكتاب المسطور العلم، والرق المنشور الحجة صلوات الله عليه، والبيت المعمور الذرية، والسقف المرفوع الكلمة، والبحر المسجور الباب، والعذاب الواقع هو القائم الذى ماله من دافع

(التوبة ٧٠ وابراهيم ٩ والحج ٤٢ – ٤٤ والفرقان ٣٧ – ٣٨ وغافر ٢٤ وق ١٢ – ١٣ والذاريات ٤٦ الخ) معرفة باطن قوله وعاد وثمود، وقوم إبراهيم وقوم نوح، الاول منهم ٢٣٥٥٣ الثانى منهم ٣٦٣٧ الثالث منهم ٤٢٣٥٦ الرابع ٩٦٨٧ وأصحاب مدين وأصحاب الرس أصحاب ٣٤٥٨٣٤ و ٤٢٥٩٤٨٣ وأصحاب فرعون موسى ٩١٥٢٦٣

١ ويكون . . وهو : كذا فى ب كتب أولا (الحق) ثم شطب عليه ووضع بدله (الالحاد) فى آ (وتكون الطابعة لأهل الحق وهو) وبين الكلمتين الاخيرتين بياض بمقدار كلمة واحدة.

١١

وأصحابه ٥٤٥ ٩٦٣٢ والكور الثانى فرعون وهامان وقارون[1] الأول ٢٥٥٢٣٥ الثانى ٦٣٣٦ الثالث ٤٦٣٣٦ وكذا فى كل قرن، ألا ترى إلى قوله «فأمليت للذين كفروا[2] ثم أخذتهم فكيف كان نكير» ومن ذلك ان رجلا من الشيعة قام [١٠] إلى أمير المؤمنين وهو يخطب بالكوفة فقال: ياأمير المؤمنين ما لقيت من هذه الأمة فقال «والذى فلق الحبة وبرأ النسمة للذى لقيت من الأمم السالفة أكثر مما[3] لقيت من هذه الأمة» فوجب على قوله أنه هو الأول والآخر

(التكوير ١٥ – ١٦) يصدق ذلك قول الله عز وجل «فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس» قال أمير المؤمنين «الأوصياء منى وأنا منهم تخنس أنفسنا ونجرى[4] ونكنس من عدونا[5] إلى الدردور» وهو سيف القائم

١ وفارون: آهنا (والقارون).

٢ للذين كفروا: مقتبسة من سورة الرعد ٣٢ وهو يريد (للكافرين) من سورة الحج ٤٤.

٣ مما: فى الاصلين (ما)

٤ ونجرى: آثرناها استنادا الى (الجوار) قبلها، فى آ (ونجزى) وفى ب (وتجزى).

٥ عدونا: فى آ غير واضح لعله كتب أولا (اعدائنا) ثم غاير الى (عادانا).

رسول الله أمير المؤمنين بأمر الله فيجادل فى ذلك جحودا وحسدا واستكبارا بغير علم عنده وَيَتبعُ كلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ فالشيطان ٩٤٦٤ ٩٤٢ فانه ما كان يصدر إلا عن رأيه وأمره وكان (٧٧) يرى أنه عالم ويستنكف عن طلب العلم ويظهر استنكافه للناس وذلك عنه كفر، يضمر ويظهر أن عنده علما ولا علم عنده ألا ترى إلى قول الله عزوجل «ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فى الدُّنْيا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ» وهذه الآية فيه نزلت ٩٤٦٤ ٩٤٢ وذلك يوم الجُحْفَة[1] لما أقام صاحبُ الشريعة أميرَ المؤمنين صلوات الله عليه فقال «هذا إمامكم فاعرفوه وبابكم إلى الله فعظموه» ثنى عند ذلك عطفه لكى لا يسمع القول لما كان ولى[2] عليه شيطانه وأشياعه من البغض[3] والعداوة لأمير المؤمنين عم وظن أن الله لا يعلم كثيراً مما يفعلون هو وأصحابه ٩٤٦٤ ٩٤٢ وفيه نزلت هذه الآية وذلكَ بِما قدَّمَتْ يَداكَ وأنَّ اللهَ ليسَ

---

١ يوم الجحفة . اشتهر بيوم غدير خم أما خبر الآيات والأحاديث التى يقال إنها تشير اليه فتجد روايتها مع ثبت مصادرها فى باب أخبار الغدير من بحار الأنوار جزء ٩ نحو ص ١٩٨ — ٢٣٧ .

٢ ولى . آ (ولى) ب (والا) .

٣ البغض . ب (العذاب) .

ملحق ٢ : نماذج من الكتابة السرية فى كتاب مزاج التسنيم

الجزء الاوّل من القسم الثالث
وهو الجزء الحادى عشر من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين والصلوة والسلام على سيّدنا محمد وآله اجمعين
الحمد لله المتعالى عن السماء والاسماء ، والمتقدس ان يكون له تعالى حدّ او رسم ، [1] واشهد ان لا اله الا هو شهادةً الى اخلاص الوحدانيّة تُنتمَى ، وصلّى الله على سيّدنا محمد من كان بانفاذ امر الله اقوى العالمين عزما ، وعلى امير المؤمنين من حاز من شرف الامامة اعظم سهم ، وعلى الفاطر من اشبه والده بدءً وختما ، وعلى الائمّة من ابنائهم من لا يخلو عصر منهم من امام هادٍ امْرا من الله فُصلا وقضاءً حتما ، وعلى امام الزمان +حا الحبا [2] من لا يحصره فكر ولا يحيط به وَهْم ، وعلى ولده المؤتَى فى طفوليّته حكما وعلما ، وسلّم على حدودهم من جلَوا عنّا بصقال موادّهم همّا وابرءوه كلْما ، وعلى سحمعامه [2] الذين [3] لم تزل سحائب تأييداتهم لدينا ذات انسجام فزادتنا غبطة ونُعمى ، واغفر لآبائنا واخواننا واولادنا واهالينا فى الدنيا والدين يا مَن افضالك وعطاؤك جمّ ،

<سورة التوبة>

وهذا ابتداء القسم الثالث المنوّر بما استوعبه من المعانى لصورة كلّ راغب باحث وهو قوله تعالى كناية عن المنافقين و«يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم» فذلك انهم اعتذروا الى حدود الناطق لمّا نصر الله المختار على يد الكرّار

Ǵuz' 11: Basmala: Das Geheimzeichen und seine Deutung s. in *Risālat al-ism al-aʿẓam*, Gnosis-Texte 171, 11 u. 173, 9. [1]) Ms حدًا او رسما / so auch im folgenden وهما ... فكرا und جما [2]) Vgl. Einführung unter 'Wortschatz'. [3]) التى nach سحائب konstruiert, vgl. Einführung unter 'Syntax'.

سورة هود

وقد يكون فى هولاء الرسل حجج من الحجج السيّارة وهم الذين امروا بالانذار لقبل
٧٤ لوط ثم قال تعالى «وامرأته قائمة» يعنى حجّته قائمة بالخدمة فى دعوته
«فضحكت» يعنى كشفت لهم مقام اسمعيل وحجبه ثم قال تعالى «فبشّرناها
باسحٰق» — قال مولاى ذو الجدّين فى ذلك بما هذا فصّه[1] قدّس اللّه روحه يعنى
لما خضعت لاسمعيل وحدوده بشّرت بانها مجمع الصور الاسحقيّة المسلّمة لها الى
ولدها اسحق وكان اسحق ابنها ثم قال تعالى «ومن وراء اسحق يعقوب» يعنى
سيستودع من بعد تلك الصور المسلّمة منها الى اسحق ليعقوب بن اسحق وكان
امرها فى ذلك الزمان كيوشع المسلّم الى موسى والمستودع لفنحاص[2] بن هرون
حكمة حكيم وتقدير عزيز عليم وهذه افادة من مادّة طرقتنى فى لحظتى هذه من
حدود زمانى ليس منسوب<ا> التّى صوابها ثم يقول وكان امر ذلك الشأن فى الدور
J I ⊥ I ما Y ٩ · 8 I ما I Y · T ۴ · J ⊥ ما ۴ ✕ ٩ X لما كان مستودعا صورا
٧٥ لزين[3] J ⊥ V J T Y ٩ ۴ · ٥ – I · ⊥ ⊥ T J ى ۶ ثم قال تعالى «قالت يا ويلتى
<أ>ألد وانا عجوز» يعنى اكون مستودعا لتلك الصور والمسلّم لها ومقامى دون ذلك
وعاجز عنه «وهذا بعلى شيخا» يعنى ما ح J T · J T ۶ J X ٩ I · J ⊥ I / J II ح
لها قد شاخ امره بتسليمه ⊥ ما ح J T · | J H I J Y ٩ ⊥ ما لديه «ان هذا
لشىء عجيب» فاجابوها يعنى اولائك حدود الحضرة الذين كان بواسطتهم ذلك
٧٦ الاستيداع «قالوا اتعجبين من امر اللّه» يعنى ذلك المستقرّ الذى بيده ترتيب
جميع المراتب استقرارا واستيداعا الذى قد قضى بذلك فى اوّل وهلة ثم اجرى
ذلك فى جميع الادوار «رحمت اللّه» يعنى اشارة الى الصور التى اوجدها تعالى
من اهل النسبة الاشرف «وبركاته» يعنى الصور التى صوّرها من اهل النسبة
الادون «عليكم اهل البيت» يعنى قسمها بين أطايب عترته «انه حميد مجيد»
٧٧ ثم قال تعالى «فلما ذهب عن ابرهيم الروع» يعنى ما ح J T X ما راعه من توقف
اولائك من تسليم ما لديهم الى ما ح J T · J H I J V ٩ ⊥ «وجاءته البشرى»
يعنى تلك الصور المباشرة له بعد ان تسلّمت من اولائك الحدود الباطنة المسلّم
لها الى ولده J H I J V ٩ ⊥ حسب ما ذكرنا اوّلا «يجادلنا فى قوم لوط» يعنى

74: [1]) Schluß des Zitates nicht gekennzeichnet.
[2]) Ohne بن العيزار / s. Ṭabarī I 510, 13; Exodus 6, 25; Numeri 25, 7.
[3]) Darüber wiederholt in Geheimschrift <۴> ٩ ✓ ⊥

سورة هود

بالمراجعة لعلّه يصلح امرهم بالتوبة منهم والانابة كما راجع اصله لاصولهم «ان
ابرهيم لحليم اوّاه منيب» يعنى عن العجلة لكون ما يستعجل الا من يخاف
٧٨ الفوت ثم قال تعالى حكاية عنهم ⊥ ما ح J T ابرهيم «يا ابرهيم اعرض عن هذا»
يعنى عن المراجعة «انه قد جاء امر ربّك» يعنى J ⊥ I ما ط ح T · T X وذلك
لمّا تمّ امهالهم «وانه<م> آتيهم عذاب غير مردود» يعنى ما عُذّبوا به من
رميهم بتلك الحجارة التى تكوّنت من حثالاتهم الاولة وتصوراتهم من افعالهم تلك
٧٩ المنكرة ثم قال تعالى «ولما جاءت رسلنا لوطا» يعنى تلك الحدود السيّارة «سىء
بهم» يعنى تعب من وصولهم اليه «وضاق بهم ذرعا» يعنى لما علم بحلول العذاب
باهل دعوته المقيم فيهم ما ح J T X «وقال هذا يوم عصيب» يعنى كرّتهم تلك
لما لم يبق لهم فيها امهال حين لم يرتدعوا عن ذلك المنكر ثم لانكارهم عليه
الخضوع لابرهيم والتسليم له ما لديه كما انكرت النصارى على بحيرا لما سلّم ما
٨٠ لديه الى I ما I Y سلام اللّه عليه «وجاءه قومه يُهرعون اليه» يعنى الى مستقرّه
الذى[1] هرعوا اليه اوّلا «ومن قبل كانوا يعملون السيّئات» يعنى فى الادوار
المتقدمة ظاهرا وباطنا لكون اوهامهم جمدت على ذلك التصور السقيم فدعاهم
ذلك الى فعله فى تكريرهم هذا «قال يا قوم هؤلاء بناتى هنّ اطهر لكم» يعنى
حدوده ليأخذوا من علمهم ويتصوروا بتلألئ نوره لكى ينضمّوا اليهم لكونهم
القريبين اليهم والذين دعوهم فى حال المحارات ووقع عليهم اسم الانثويّة بالنسبة
الى حدود دعوة المستقرّ الذى كان لوط حجابا له «فاتّقوا اللّه» يعنى المدبّر لتلك
الدعوات «ولا تخزون فى ضيفى» يعنى حدود ذلك المحتجب به الذين لم يسبق
بينهم وهم ازدواج فى المراتب لقصورهم عن مزاوجتهم والاخذ عنهم «اليس منكم
٨١ رجل رشيد» يعنى عالم باسرار دين اللّه «قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من
حقّ» يعنى ما لنا ازدواج بحدودك وذلك حين نفروا عن مزاوجتهم والخضوع لهم
سابقا «وانك لتعلم ما نريد» يعنى من الترافع عليهم والترشح لمزاوجة من فوقهم
٨٢ من حدود ولىّ امرك فى الرتب وهم اولائك الرسل «قال لو ان لى بكم قوّة» يعنى
استطاعة فى نكايتكم ظاهرا وباطنا «او آوى الى ركن شديد» يعنى الى حضرة
٨٣ المحتجب به الذى صانه ولىّ ذلك الزمان من الملابسة لاولائك الاشرار «قالوا يا
لوط انّا رسل ربّك» يعنى ذلك المستقرّ وهم من حجج حضرته الذين لهم من

80: [1]) الدين

ملحق ٣: نماذج من الكتابة السرية فى كتاب مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية

قصص طويلة، ومرة خاطبهم في وادي ضلع هو وجماعة، من الذين تعدّوا على منزلته مثل ⊗.٤٢٣ω٦⊗ . X٣٦⊗.٨٩٢.X٣٩ ⊗٨٢ط٣٩٩٢ فأظهر المعجز بأن٨٩٢. X٣٩. ω٣. X٣٦.٣ω. ٦ω٣٢٤ دعاهم عن أمر النبي صلى الله عليه وآله لهم بذلك فلم يخاطبوهم غير أن قالوا: إنّا لا نخاطب إلا ٢٨٩٤. ٥٢. ⊗٨٥٢فجاء X٨٣٢. ٢٤٣٥٣٤٢. ٨٤٣٥٣٤٢. ٨٤٥٢٠٧. ٢٤٤٩. ٩٨٤٦فردّ عليهم السلام وردّوا عليه، واجتمعوا إليه، وكانوا قد اسلموا من زمان ٥٤ط عليه السلام، فجددوا إسلامهم، وتقدّم معه منهم رجلان إلى النّبي صلى الله عليه وعلى آله إلى مدينة يثرب، فاعلموه وأقام فيهم من يعلمهم القرآن والفرائض والأحكام وبقى أولئك ٤٨٦٢٤٣٤٢. ط٤٨X٨٢ وقالوا (إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ)[4].والكلام فيهم يطول، وهذا حقيقته. فاعلم ذلك.

المسألة الثانية عشرة: عن مولانا إسماعيل بن جعفر صلوات الله عليه، والموت الذي أظهر ثم شوهد حيّاً بعد ذلك بالبصرة، هذا قوله: الجواب: في ذلك نقول بعون الله تعالى ومادّة وليّه في أرضه صلوات الله عليه: إن جميع المقامات من نبي أو وصي أو إمام صلوات الله عليهم جميعاً، إذا طرقَته مادة العقل الأول بوساطة العاشر وسائر حدود عالم العقل، قدر على أن يفعل ما شاء من الأمور المعجزة، التي لا يقدر عليها البشر، فلما كان مولانا ٢٤٢٨٤٢ ⊄ صلوات الله عليه في زمان أبي جعفر أبي الدوانيق، وقد كان ملك الأرض كلها وقال لمولانا ٢٤٢٨٤٢ ⊄: إنا أعلم أنك الإمام الحق، وأريد أن تُسلّم إلي الإمامة بعدك وإلا قتلتك وقتلت جميع أولادك وشيعتك. فقال له، إذا حضرني الموت

[4] سورة الأنعام: الآية 7.

فيه ما ذكروه في كتابهم الآخر والخمسة التي بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وبينه هم: ٩٣٢. ٥٣٢. ٣٨٢٧ أولاً في حال التربية وهم: ٢٩٧. ٩TJII. ٢X٨٤٣٥. ٩٣٨٣٤٥ فهؤلاء الذين بينه وبين ربه الذي ٩٣٢٤٢ وهو ٥٣٢. ٣٨٢٧ فأما ٣٣٦. ٣٨٧٣٨٢. ٣٣٦٥. ٩٨٨٢ فهما ٤٢٣٢٣٢ وهما ٥٣٢٥. ٣٨٢٧ وسائط ٤٨٣. ٤٨٣٨٢ و٨٣٦٨٢X وكذلك بين أمير المؤمنين و٨٣٦٨٢X بوساطة النبي صلى الله عليه وعلى آله، وأما النعلان من نار، فهما إشارة إلى ٣٨٤٣. ٨٨٦٥ اللذين هما مقاما نور كنّى عن النور بالنار، مثل نار موسى التي هي التأييد وقوله: (يغلى منها رأسه يوم القيامة) ترتفع بهما رئاسته عند قيام القائم لفضلهما، والغليان هو الارتفاع، كما أن الماء إذا غلى من حرّ النار ارتفع فشبه ذلك، إشارة إلى ارتفاع رتبته بها عليهم جميعاً السلام.

المسألة الخامسة: عن ٣٤٣X و ٨٣٧. ٣٨٣٤٢X وسائر المشاعر إلامَ تصير إليه عند التراخي، الجواب بعون الله: إنه في تلك المدة تصير الأرض وما عليها كما كانت في ابتداء الخلقة وتخمر بالمياه النازلة، ويصعد الشريف منها إلى القامات الألفية والكثيف إلى ما يستحقه، فتكون المواضع الشريفة في أشخاص محمودة تمازجها بإذن المدبر، وتصعد معها إلى القامة الألفية، وتكون منها ما شاء المدبر، لأنه لا يضيع شيء من الخلقة، إلا يفعل فيه المدبر بموجب العدل والحكمة.

المسألة السادسة: عن قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه ٣٦٨X، إنه يريه المعجزة ثم كلّمَ أهل القبور، الجواب بعون الله تعالى أن ذلك إظهار معجز انقادت له به الطبيعة فرأى ٣٦X تلك الأشخاص تكلمه

المصادر والمراجع

- التأويل الإسماعيلى الباطنى ومدى تحريفه للعقيدة الإسلامية : د. عبد العزيز سيف النصر، مكتبة الجامعة الأزهرية ، أسيوط ، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة : تحقيق د. محمد كامل حسين، دار المعارف ، القاهرة، د.ت.
- رسالة الاسم الأعظم : المؤلف مجهول، (ضمن أربعة كتب إسماعيلية)، تحقيق ر. شتروطان، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٦م.
- الرسالة الجامعة : أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، د.ت.
- رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد: على بن محمد بن الوليد (ضمن أربعة كتب إسماعيلية) ، تحقيق ر. شتروطان، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٦م.
- الرموز السرية فى المراسلات المغربية عبر التاريخ : د. عبد الهادى التازى، نشر المعهد الجامعى للبحث العلمى، الرباط، المغرب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- سرائر وأسرار النطقاء : جعفر بن منصور اليمن، تحقيق د . مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب : د. محمد مراياتى ، يحيى مير علم، محمد حسان الطيان، تقديم الدكتور شاكر الفحام، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- فضائح الباطنية : أبو حامد الغزالى، تحقيق محمد على القطب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- كتاب الكشف : جعفر بن منصور اليمن، تحقيق ر.شتروطمان، دار الفكر العربى، د.ت.
- كتاب الكشف : جعفر بن منصور اليمن، تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- كتاب المجالس والمسايرات : القاضى النعمان بن محمد، تحقيق الحبيب الفقى وإبراهيم شبوح ومحمد اليغلاوى، دار المنتظر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة : محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى، تحقيق عزت العطار، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م.
- المجالس المستنصرية : ثقة الإمام علم الإسلام، تحقيق د. محمد كامل حسين ، دار الفكر العربى، ط، د.ت.
- المجالس المؤيدية : المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

- مجموعة رسائل الكرمانى : أحمد حميد الدين الكرمانى، تحقيق د. مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- مذاهب التفسير الإسلامى : إيجناس جولد تسيهر ، ترجمة عبد الحليم النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.
- مزاج التسنيم : ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله الإسماعيلى السليمانى، تحقيق ر.شتروطمان، المجمع العلمى، غونتيغن، ألمانيا، ط١، ١٩٤٤م – ١٩٤٨م .
- مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية (ضمن كتاب أربعة كتب إسماعيلية) : المؤلف مجهول، تحقيق ر. شتروطان، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٦م.
- معجم التاريخ الإسماعيلى : فرهاد دفترى، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقى بالاشتراك مع معهد الدرسات الإسماعيلية، ط١، ٢٠١٦م.
- المعجم الشامل للتراث العربى المطبوع : د. محمد عيسى صالحية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.